مادة (ض . ر . ب) المعجمية
ودلالاتها في القرآن الكريم

أ.م .د . عبدالله حسن أحمد[*]

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّه الأمين، وعلى اله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن هذا البحث الموسوم بـ [مادة (ض. ر. ب) المعجمية ودلالاتها في القرآن الكريم] محاولة جادّة تنطلق من كلام العرب وصولاً إلى القرآن الكريم، كتاب الله الخالد، لدراسة مادة لغوية كثر استعمالها في كلام العرب وهي مادة (ض. ر. ب) التي تقع على جميع الأعمال إلا قليلاً، فجاء منها المعنى الحقيقي، والمجازي، والتركيب الاصطلاحي، الذي يحدّد معناه اللفظ المرافق له، والسياق الذي يحمله، والأصل في ذلك واحد، يقوم البحث على فقرتين، الأولى: دلالة مادة (ض. ر. ب) في المعجم العربي، إذ بدأنا بذكر الأصل اللغوي، ثم المعاني الحسيّة، وتوسعنا كثيرا في المعاني المجازية، ليطلع القارئ على سعة هذه المادة واستعمالاتها في كلام العرب، ومررنا سريعاً على ما ذكره المعجم العربي من المعاني النادرة أو غير المشهورة، والفقرة الثانية في دلالة هذه المادة في القرآن

---

[*] قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب / جامعة الموصل.

الكريم، وتوزعت هذه المعاني على احد عشر معنى، كان ضرب المثل للوصف والبيان أكثرها، إذ جاء في ثلاثين موضعاً، تلاه المعنى الحقيقي في عشرة مواضع، ثم السّفر للتجارة وغيرها في خمسة مواضع، والقتل في ثلاثة مواضع، والوَضْع والإلزام في موضعين، وستة معانٍ في كلّ آية معنى وهي: الجهاد، والنـّوم، والجَعْل، والسِّتْر، والقَطْع والصَّرْف، ونَصْب الجدار وإقامته، وقد اعتمدنا في ترتيب هذه المعاني ودراستها مبدأ الكثرة، أما المعاني التي وردت في موضع واحد، فكان سبيلنا هو الترتيب المعروف للسور القرآنية.

هذا ما أردت أن أبيّنه للقارئ الكريم، والله من وراء القصد.

الدلالة المعجمية

مادة (ضرب) تقع على جميع الأفعال إلا قليلا، فمنها الحسي الحقيقي ومنها المعنوي المجازي، والتركيب الاصطلاحي الذي يحدد معناه اللفظ المرافق له، والسياق الذي يحمله، والأصل في كل ذلك واحد: فالضاد والراء والباء أصل واحد هو إيقاع شيء على شيء [1]. يقال: ضَرَب الوَتَد أي دقـّه حتى رَسَب في الأرض[2]، وضرَب الخيمة: ضرَب أوتادها بالمطرقة حتى يرسب في الأرض، وصيغة (مِفْعَل) تدل على شدة الضرب كقولهم: رجل مِضْرَب أي: شديد الضَّرْب

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس 3/ 397.

(2) لسان العرب، ابن منظرو، مادة (ضرب) 2/ 31.

أو كثير الضَّرْب (3)، ومن المعاني الحسية الأخرى، الضَّرِيبة: ما ضُرِب السيف من حيّ أو مّيت(4)، قال جرير(5):

وإذا هَزَزْتَ ضريبةً قطّعْتها   فمضيت لا كزِماً ولا مَبْهُورا

والحركة كقولهم: تضرّب الشيء واضطرب، إذا تحرّك وماج، والموج يضطرب إذا ضَرَب بعضه بعضاً وسمّي الرأس ضريباً لكثرة حركته (6)، وخرج عن هذا الأصل معانٍ كثيرة وقفنا على جُلّها وما كان معروفاً متداولاً عند العرب، ومررنا سريعاً على ما ذكره المعجم من المعاني النادرة أو غير المشهورة في استعمالات العرب، وهذه المعاني هي:

1. **الطّباعة والسِّباكة:** ضَرَب الدِّرهم يضربه:طَبَعَهُ ومِثْله ضرَب على المكتوب، وضرَب خاتماً واضطرب خاتماً من ذَهَب، أي: أمر أن يُضْرَبَ له ويصاغ(7).
2. **اللّدْغ:** يقال: ضَرَبَتِ العقربُ تضرِب ضَرْباً: لَدَغَتْ.
3. **نَبْض الحياة:** يقال: ضَرَبَ العِرْقُ والقَلْب يضرِب، أي: نَبَضَ وخَفَقَ(8).
4. **الألَم والوَجع:** ضرَب الجُرْح ضرَباناً، وضَرَبه العِرقُ: إذا آلمه، وضرب الجُرْح والضِّرس إذا اشتدّ وجعه(9).

---

(3) أساس البلاغة، الزمخشري/ 373.

(4) اللسان 32/2، والصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري 1/ 169.

(5) ديوانه / 223.

(6) اللسان 2/ 32، والصحاح 1/ 168.

(7) أساس البلاغة/ 373، واللسان 2/ 31.

(8) اللسان 2/ 31، وأساس البلاغة / 374.

5. **السعّي في الأرض طلباً للرزق أو الجهاد:** ضرَب في الأرض ضرْباً، أي: سار في ابتغاء الرزق، والطير الضوارب: التي تطلب الرزق، وضرَب في التجارة، أي: تاجر، وضرَب في سبيل الله: جاهد، واقترن هذان المغيان بمعنى السرعة وعليه فالضرْبُ: الإسراع في السّير، وضرَب فلان بشرٍّ، أي: أسرع به، وضرَب يَعْسُوب الدِّين بذَنبه، أي: أسرع الذهاب في الأرض فراراً من الفتن، وفي الحديث: (لا تُضرب أكباد الإبل إلاّ إلى ثلاثة مساجد) (10).

6. **القِراض:** كقولهم: ضارَبه في المال من المُضارَبة وهي القِراض، والمُضارَبة أن تعطي إنسانا من مالك ما يتَّجر فيه على أن يكون الرّبح بينكما أو يكون له سهم معلوم من الرّبح وكأنه مأخوذ من الضَّرْب في الأرض لطلب الرزق، وعلى قياس هذا المعنى يقال للعامل: ضارَبٌ؛ لأنه هو الذي يضرب في الأرض، وجائز أن يكون كلّ واحد من ربّ المال ومن العامل يُسمّى مُضارباً؛ لأنّ كل واحد يُضارب صاحبه وكذلك المُقارض(11).

7. **النُّفور:** ضرَب البعير في جهازه، أي: نفَرَ ولم يزل على هذه الحال طوّح عنه كلّ ما عليه من جمل أو غيره(12).

8. **الأصل والنّسب:** كقولهم: ضربَتْ فيهم فلانة بعِرْق ذي أشَبٍ، أي: أفسدت نسبهم بولادتها فيهم، وما يُعْرَف لفلان مَضْرب عَسَلَةٍ، أي: أصل ولا قوم ولا أب ولا شرف، ويقال: إنّه لكريم المَضْرب، أي: شريف المنصب(13).

---

(9) اللسان 2/ 31، والصحاح 1/ 168.

(10) اللسان 2/ 31، وأساس البلاغة / 373.

(11) اللسان 2/ 32، والصحاح 1/ 168.

(12) الصحاح 1/ 168، واللسان 2/ 32.

9. **المَنـْع والحَجْر:** كقولهم: ضـَرَب على يد فلان إذا حَجَر عليه، وضَرب على يده، أي: كفـّه عن الشيء (14)، وحدّد هذا المعنى حرف الجرِّ المرافق للفعل، وهذا الفعل قد يكتفي بالفاعل كقولهم: ضَرَبَ اللـّيل، أي: طال ويتعدّى إلى المفعول مباشرة، كقولهم: ضرّب الدّراهمَ، أي: طـَبَعَها، واضْرِب لهم مثلاً، وقد يتعدى بحرف الجرِّ فيقال: ضَرَب فلان على فلان إذا حَجَره ومنعه، وضَرَب على آذانهم، أي: بعث عليهم النـّوم فناموا(15).

10. **النـَّزو والنـّكاح:** كقولهم: ضـَرَب الجَمَل النـّاقة يضرِبها إذا نزا عليها، واضرب فلان ناقته، أي: أنـْزَى الفـَحْل عليها ونكحها، والضّوارب من الإبل هي التي تمتنع بعد اللقاح فتـُعِزُّ أنـْفـُسَها فلا يُقدَر على حَلـْبِها(16).

11. **الصَّقيع والجليد:** يقال: ضـُرِبَتِ الأرض ضَرْباً وجُلِدَتْ وصُقِعتْ، أي: أصابها الطـّل كما يقال: طلـّت الأرض من الطـّلّ، وأضرَب الرّيح والبرد النـّبات، أي: اشتدّ عليه القـُرُّ وضربه البرد حتى يَبِسَ(17).

12. **العَسَل الأبيض الغليظ:** الضـَّرَب – بالتحريك – العسل الأبيض الغليظ، يُذكـّر ويؤنـّث يقال: استضرب العَسَل: غـَلـُظ ، وقيل: الضَّرَب عَسَل البَرِّ، والضَّرْبُ – بالتسكين – لغة فيه(18)، قال أبو ذؤيب الهذلي(19) في تأنيثه:

---

(13) الصحاح 1/ 169، وأساس البلاغة / 373.

(14) الصحاح 1/ 168، واللسان 2/ 33.

(15) معجم مقاييس اللغة 3/ 398-399.

(16) اللسان 2/ 33.

(17) الصحاح 1/ 169، وينظر: اللسان 2/ 34.

(18) اللسان 2/ 34، وينظر: إصلاح المنطق، ابن السكيت / 38.

وما ضَرَبٌ بيضاءُ يأوي مِليكُها   إلى طُنُفٍ أعْيا بِراقٍ ونازلِ

والملاحظ أن صيغة (استفعل) تدلّ على التّحول، كقولهم: استنوق الجمل واستتيسَ العنـْزُ، بمعنى التحول من حال إلى حال(20).

13. **المطر الخفيف:** الضَّرْب: المطر الخفيف، قال الأصمعي: الدِّيمة: مطر يدوم مع سكون، والضَّرْب فوق ذلك قليلاً، والضَرْبة: الدَّفعة من المطر(21).

14. **الإعراض:** ضرَب عنه، أي: أعرض، وضرَب عنه الذّكر وأضرَب عنه: صرَفه والأصل أن الرّاكب إذا ركب دابّته فأراد أن يصرفه عن جهته، ضربه بعصاه ليَعْدِله عن الجهة التي يُريدها، فوضِعَ الضَّرب موضع الصَّرف والعَدْل، ويقال: ضـَرَبْتُ فلاناً عن فُلان، أي: كفـَفـْته عنه فأضرب عنه إذا كفَّ (22). والملاحظ أنّ هذا الفعل حدّد معناه حرف الجرّ (عن) فكـّون تركيباً اصطلاحياً، والفعلان (ضرب) و (اضرب) جاءا بمعنىً.

15. **السُّكون:** يقال: أضرَب، أي أطرق، وحيَّة مُضرب إذا كانت ساكنة لا تتحرك، ومنه أيضا رأيته مُضرباً، أي: مطرقاً(23).

16. **الإقامة:** المُضرب المقيم في البيت، يقال: اضرَب الرجل في بيته، أي: أقام (24)، وجاء بهذا المعنى في مشهد من مشاهد القيامة قوله صلى الله عليه وسلم (فيقولون

---

(19) ديوان الهذليين 1/ 141.

(20) الصحاح 1/ 169، وأساس البلاغة 373.

(21) اللسان 2/ 34-35، وينظر: قرّة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ابن الجوزي/ 163.

(22) اللسان 34/1 – 35.

(23) الصحاح 168/1، وأساس البلاغة / 373.

أنت ربُّنا فيدعوهم فيُضرَب الصِّراط بين ظهراي جهنّم) (25)، أي: يُنصَب ويمتد ويقام على جهنّم(26).

17. **النُّضج:** يقال: أضرَب خُبْزُ المَلَّةِ فهو مُضرQب إذا نَضجَ وأن له ان يُضرَب بالعصا ويُنْقَضَ عنه رماده وترابه(27)، قال ذو الرّمة(28) يصف خبرةً:

وَمضْرُوبةٍ في غير Q ذَنْبٍ بريئةٍ   كَسَرْتُ لأصحابي على عَجَلٍ كَسْراً

18. **القِداح والموكّل بها:** الضَّريبُ: القدْح الثالث من قِداح المَيْسر ويسمى أيضا الرّقيب وضريب القِداح هو الموكّل بها(29)، قال الكميت(30):

وعَدَّ الرقيبُ خِصالَ الضريـ   ـب لا عَنْ أفاتينَ وكَسْاً قِمارا

والضَّريب والضّارب الموكّل بالقِداح وقليل الذي يضرب بها، قال سيبويه: هو (فعيل) بمعنى (فاعل) وجمع الضَّريب ضُرباء(31)، قال أبو ذؤيب(32):

فوَرَدْنَ والعَيُّوق مَقْعَدُ رابيء الـ   ـضُرباءِ خَلْفَ النّجم لا يتتلّع

---

(24) اللسان 2/ 35، وينظر: إصلاح المنطق/ 233.

(25) الجامع الصحيح المسند، محمد بن إسماعيل البخاري 1/ 204، كتاب الأذان، باب فضل السجود.

(26) الكواكب الذّراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني 5/ 162.

(27) اللسان 2/ 35.

(28) ديوانه / 53.

(29) الصحاح 1/ 169، واللسان 2/ 35.

(30) ديوانه 1/ 214.

(31) الكتاب 4/ 7، وينظر اللسان: 2/ 36.

(32) ديوان الهذليين 1/ 6، والرواية فيه (.... فوق النّظم لا يتتلّع).

19. **الخَلْطُ والاختلاف**: يقال ضربت الشيء بالشيء، أي: خلَطْتُ ومن هذا المعنى الحسي جاء الاختلاف والأعزاء كقولهم: ضربتُ بينهم في الشَر Q : خَلَطْتُ والتضّريب بين القوم: الاغراءُ، ويقال: اضطرب الحبل بين القوم إذا اختلفت كلمتهم، واضطرب أمره: اختلّ، وحديث مضطرب السّند وأمر مضطرب(33).

20. **الصُّوف أو الشَّعر:** الضّريبة: الصُّوف أو الشَّعرَ يُنفَش ثم يدرج ويُشدّ بخيط ليُغزل فهي ضرائب، والضّريبة: الصّوف يُضرَب بالمِطرقة أو القطعة من القطن، وقيل من القطن والصُّوف(34).

21. **اللّبن يُحلب بعضه على بعض: ضَرِيبُ الشَّول** : لبن يُحلب بعضه على بعض، والضّريب من اللبن: الذي يُحلب من عِدّة لقاح في إناء واحد فيُضرَب بعضه ببعض ولا يقال ضريب لأقلّ من لبن ثلاث أنيق، فمنه ما يكون رقيقاً ومنه ما يكون خاثراً، وقيل: الضريب ما حُلِبَ عليه من الليل ثم حُلِبَ عليه من الغد فضُرِب به(35).

22. **المِثْل والشكّل:** كقولهم: فلان ضَرِيبُ فلان، أي: نظيره، وضَرQيبُ الشيء مِثْله وشكله، والجمع ضُرُوب وضُرُباء، وهذه الأشياء على ضَرْبٍ واحد، أي: على مثال واحد(36).

23. **آخر البيت الشعري** : االضَّرب من بيت الشِّعْر: آخره كقوله (فحومل) (37) في بيت امرئ القيس(38):

---

(33) اللسان 2/ 36، وينظر: الصحاح 1/ 169.

(34) الصحاح 1/ 170، وأساس البلاغة / 373.

(35) اللسان 2/ 36، والصحاح 1/ 169.

(36) اللسان 2/ 36، وأساس البلاغة / 373.

قِفا نـَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل　　　بسِقط الـّوى بين الدَّخول فـَحَوْمَل

24. المكان المـُطـْمئن من الأرض: الضـّارب: المكان المُطـْمئن من الأرض به شـَجَر(39)، قال ذو الرّمة(40):

قد اكتفلـَتْ بالحَزْن واعْوَجّ دونـَها　　　ضواربُ، من غسّان مُعْوَجَّةٌ سَدْرا

وقيل الضارب: قطعة من الأرض غليظة تستطيل في السَّهل، والضّارب: الوادي يكون فيه الشجر(41).

25. الرّجل الخفيف اللـّحم: الضـَرْب: الرَّجُل الخفيف اللـَّحم، وقيل النـَّدْب الماضي الذي ليس برَهْل(42)، قال طرفة(43):

أنا الرَّجُل الضَّرْب الذي تعرQفـُونه　　　خـَشَاشٌ كرأس Q الحَيَّة المُتوقـِّدِ

---

(37) اللسان 2/ 37.

(38) ديوانه / 8.

(39) اللسان 2/ 37.

(40) ديوانه / 52.

(41) اللسان 2/ 37.

(42) اللسان 2/ 37، وإصلاح المنطق/ 38.

(43) ديوانه / 52.

26. **الطبيعة والسَّجية:** الضريبة: الطبيعة والسَّجية، يقال: فلان كريم الضّريبة ولئيم الضّريبة (44)، وفي الحديث: (أنّ المسلم المُسدِّد ليُدرك درجة الصوَّام بحُسن ضريبته) (45).

27. **الصّنف من الأشياء:** الضرْب: الصّنف من الأشياء(46)، كقولهم: هذا من ضَرْب ذلك، أي: من نحوه وصنفه، والجمع ضروب، قال الشاعر:

أراكَ من الضَّرْب الذي يَجْمَعُ الهوى وَحَوْلَكَ نِسْوانٌ لَهُنَّ ضُرُوبُ (47)

28. **الوصف والبنان: كقولهم:** ضَرَب الله مثلاً، أي: وصف وبيّن، وضَرَب له المَثَل بكذا، إنما معناه بيّن له ضرْباً من الأمثال، وضرْب الأمثال: اعتبار الشيء بغيره وتمثيله به(48).

29. **الجزية وما يؤخذ في الأرض** : الضَّريبة واحدة الضرائب التي تؤخذ في الأرْصاد والجزية ونحوها، ومنه ضريبة العبد وهي غلَّته، وجاء في قولهم: كم ضريبته؟ فالضريبة ما يُؤدي العبد إلى سيّده من الخراج، وهي (فعيلة) بمعنى (مفعولة)(49).

---

(44) اللسان 2/ 37.

(45) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير 3/ 80.

(46) إصلاح المنطق/ 38، ومنتخب قرَّة العيون النّواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم/ 163.

(47) اللسان 2/ 37-38.

(48) اللسان 2/ 38، وأساس البلاغة/ 373.

(49) اللسان 2/ 38، والصحاح 1/ 170.

30. **السّابح في الماء**: الضـّارب: السابح في الماء(50)، قال ذو الرّمة(51):

ليلليَ اللـَّهْو Q تـُطبيني فأتـْبَعُهُ   كأنني ضار Qبٌ في غـَمْرَةٍ لـَعِب

31. **الطـّويل من كلّ شيء:** الضـّارب: الطـّويل من كل شيء، وقولهم: ضَرَب اللـّيلُ عليهم: طال، قال الشاعر(52):

ضَربَ الليل عليهم فـَرَكـَدْ

32. **النـّوم:** الضـّرْب على الآذان، مَنـْعهم من أن يسمعوا وهي صورة مجازية لطيفة وكناية عن طول النوم، وفي الحديث (فضُرQب على آذانهم) هو كناية عن النوم ومعناه حُجِبَ الصوتُ والحِسُّ أن يَلِجا آذانهم فـَيَنـْتـَبـِهوا فكأنها قد ضُرب عليها حجاب(53).

33. **البُعْد والقضاء:** قولهم: ضـَرَب الدَّهر ضَرَبانه، كقولهم فقضى من القضاء وضَرَب الدَهر بيننا، أي: بَعَّد ما بيننا(54)، قال ذو الرّمة(55).

فإن تـَضـْر Qب الأيام ياميُّ بيننا   فلا ناشِرٌ سِرَّاً ولا مُتـَغـَيِّرُ

---

(50) اللسان 2/ 38.

(51) ديوانه / 7.

(52) اللسان 2/ 38.

(53) اللسان 2/ 38، والصحاح 1/ 169.

(54) اللسان 2/ 38.

(55) ديوانه / 225.

34. **العَظْم الذي فيه مُخ:** المَضرَب: العَظمُ الذي فيه مُخّ، يقال للشاة إذا كانت مَهزولة: ما يُرِمُّ منها مَضْرَبٌ، أي: إذا كُسِرَ عظمٌ من عِظامها، لم يُصَب فيه مُخٌّ(56).

35. **الطَلَب لقضاء الحاجة وغيره:** كقولهم، ضَرَبْتُ له الأرض كلّها، أي: طلبته في كلّ الأرض، ويقال: ضَرَب فلان الغائط، إذا مضى إلى موضع يقضي فيه حاجته، ومثله ضَرَب الغائط والخلاء والأرض، إذا ذهب لقضاء حاجته(57).

36. **طلب الشيء وكسبُهُ:** يقال: فلان يضرِبُ المجدَ، أي: يكسِبُهُ ويطلُبُهُ (58)، قال الكميت(59):

رَحْبُ الغِناءِ يضرِبُ المجدَ رغبَتُهُ والمجدُ أنفعُ مضروبٍ لمضْطَرِبِ

وهناك معانٍ أوردها المعجم العربي مختصرة، نذكرها إتماماً للفائدة وهي:

ضَرَّبَ النّجادُ المُضرَّبَة إذا خاطها، والضّريب: النَّصيب (60)، والضَّريب: البطنُ من النّاس وغيرهم، والمُضارِب: الحِيَل في الحروب، والتّضريب: تحريضٌ للشجاع في الحرب، ويقال للرجل إذا خاف شيئاً فخرق في الأرض جُبناً:

---

(56) اللسان 2/ 39، والصحاح 1/ 169.

(57) اللسان 2/ 39.

(58) اللسان 2/ 32.

(59) ديوانه 1/ 112.

(60) اللسان 2/ 37.

قد ضَرَبَ بذَقَنِه الأرض(61)، وفلان ضاربٌ، أي: محتوQف(62)، والمِضْراب الذي يُضْرَبُ به العود(63).

الدَّلالة القرآنية

القرآن الكريم هو البعث في نشأة علوم اللغة وتطورها، وذلك لما في القرآن من وجوه الجمال وظَّف اللفظة في صور ومعانٍ إسلامية، كان للمجاز نصيب كبير، وجاءت مادة (ض.ر.ب) في القرآن الكريم على احد عشر معنىً هي:

أولاً: ضَرْب المَثَل للوصف والبيان

الأمثال: معانٍ زاخرة تتلخص فيها تجارب أجيال وقرون، وتعني التّماثل بين الشيئين في الكلام، كقولهم (كما تَدين تُدان) وهو من قولك: هذا مِثْل الشيء ومَثَله كما تقول: شِبُهُه وشَبَهَه(64)، وقيل المَثَل مأخوذ من المِثال وهو قول سائر يُشبّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التَّشبيه(65)، كقولهم: (مَثَل بين يديه) إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة، ثم صار المَثَل اسماً مصرّحاً لهذا الذي يُضْرَب ثمّ يُردّ إلى أصله الذي كان من الصفة، فيقال: (　　مَثَلُكَ ومثَل فلان)، أي: صفتك وصفته، ومنه قوله تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)(66)، أي صفتها المعدّة

---

(61) اللسان 2/ 39.

(62) منتخب قرّة العيون النّواظر في الوجوه والنظّائر في القرآن الكريم/ 163.

(63) اللسان 2/ 39، وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 3/ 463-464.

(64) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري 1/ 7.

(65) مجمع الأمثال، الميداني 1/ 6.

(66) سورة محمد، الآية 15.

للمتقين(67)، وضَرْب المَثـَل: جعله يسير في البلاد من قولهم: ضَرَب في الأرض إذا سار فيها، ويقولون: الأمثال تـُحكى، يعنون بذلك أنها تُضْرَب على ما جاءت عن العرب(68)، ولابد من الإشارة إلى أن ضَرْب المَثـَل يكون لإثارة الانتباه والإحساس ليخرجك من حالة إلى أخرى، والقرآن الكريم يعطينا أمثالاً كثيرة، لتوضيح قضايا معينة وليصف ويبيّن الصورة الواقعية في المجتمع ودقائق الأمور، وجاء ضَرْب المَثـَل في القرآن الكريم في ثلاثين موضعاً(69)، وقفنا على ثلاثة مواضع منها وهي:

1. قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً)(70)

الكلام يخبر بأن الله تعالى لا يعبأ أن يضرب مثلاً بشيء حقير أو غير حقير، لأن المخلوقات متساوية في الضعف بالنسبة إلى خالقها (71)، ويروى أن المشركين قالوا ما بال العنكبوت والذباب يضرQب بهما الله الأمثال في كتابه، وضحكوا وقالوا هذا ليس من كلام الله تعالى، فانزل الله تعالى هذه الآية، وفيها اخبار أنه تعالى لا

---

(67) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 16/ 236.

(68) جمهرة الأمثال 1/ 7.

(69) هي: سورة إبراهيم، الآيات 24 و 25 و 45، سورة النحل، الآيات 74 و 75 و 76و 112، سورة الإسراء، الآية 48، سورة الكهف، الآية 45، سورة الحج، الآية 73، سورة النور، الآية 35، سورة الفرقان، الآيتان 9 و 39، سورة العنكبوت، الآية 43، سورة الروم، الآيتان 28 و 58، سورة يس، الآيتان 13 و 78، سورة الزمر، الآيتان 27و 28، سورة الزخرف، الآيات 17 و 57 و 58، سورة محمد، الآية 3، سورة الحشر، الآية 21، وسورة التحريم، الآيتان 10 و 11.

(70) سورة البقرة، الآية 26.

(71) التحرير والتنوير، ابن عاشور 1/ 357.

يستحيي ولا يستنكف ولا يخشى يَضرْب مَثـَل ما وبأي شيء كان (72)، وهي ردَّ عليهم على سبيل المقابلة وإطباق الجواب (73)، وذِكرُ النـَّحل والذباب والعنكبوت والنـّمل لا يقدح في فصاحة القرآن الكريم، فضلاً عن كونه معجزاً، وذِكـْرها حِكـَم بالغة، وهي إشارة إلى ترابط آيات القرآن (74)، وعندما ضَرَب الله مثلاً بالبعوضة استقبله الكفار بالمعنى الدنيوي ذلك أنه مخلوق ضعيف، ولهذا قالوا: (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً) ولم يفطنوا إلى أن هذه البعوضة الدقيقة الحجم خـَلـْقها معجزة فهي تحتوي على كل الأجهزة اللازمة لها في حياتها، وحين ضَرَب الله مثلاً بالبعوضة وما فوقها، أي: بما هو أقل منها حجماً فإنه تبارك وتعالى أراد أن يلفتنا إلى دقـّة الخلق(75)، والمراد بالمَثـَل هنا الشّبه المطلق، والإتيان بالمسند إليه علـَماً دون غيره من الصفات، فلأنّ هذا العلـَم جامع لجميع صفات الكمال فـَذِكـْره أوقع في الإقناع، ولهذا اختير أن يكون المسند فعل الاستحياء زيادة في الرّد عليهم لأنهم أنكروا التمثيل، والضَّرْب في (يضرب مثلاً) مستعمل مجازاً جاء للوصف والجعل و (ما) إمّا ابهامية تتصل بالنكرة فتؤكد معناها من تنويع أو تفخيم أو تحقير، أو مزيدة لتكون دلالتها على التأكيد أشَدَ(76).

2. وقوله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ

---

(72) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 1/ 112.

(73) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري/ 65.

(74) التفسير الكبير، الرازي 2/ 131- 132.

(75) تفسير الشعراوي، محمد متولي شعراوي 1/ 214.

(76) التحرير والتنوير 1/ 361- 362، وينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى/ 241.

وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)(77)

الوادي: هو المنخفض بين الجبلين ويستوعب من المياه على اتساعه وحكمته تعالى أن تحول الماء إلى طوفان، فلو زاد في تلك الأودية لغرقت القرى، وهكذا نجد رحمة الحق ان الماء يُنـْزِQله من السماء مطراً على قدر اتساع الأودية، والحق هنا يريد أن يضْرِQب مثلاً على ارتفاع ما ينفع الناس لذلك جاء بجزئية نزول الماء على قدر اتساع الأودية (78)، والآية إشارة إلى تشبيه المؤمن والكافر والإيمان والكفر بالأعمى والبصير والظلمات والنور، وهو ضَرْب للحق والباطل، فمن حقّ الماء أن يستقرّ في الأودية(79)، وهكذا ضَرَب الله المَثـَل لأهل البدو ولأهل الحَضَر بما يفيدهم في حياتهم سواء حلية يلبسونها أو أداة يقاتلون بها أو أداة يستخدمونها في أعمالهم وهم في كل ذلك يلجؤون إلى تصفية المعادن التي يصنعون منها تلك الحُلـَى أو الأدوات ليستخلصوا المعادن من الخَبَث أو الزَّبد، وحين يُضرQب الله الحق والباطل فهو يستخلص ما يفيد الناس ويُذهب ما يضرّهم فقال: (فَيَذْهَبُ جُفَاءً) أي مطروداً.

وشاء سبحانه أن يبين لنا بالأمور الحسيّة ما يساوي الأمور المعنوية، كي يعلم الإنسان أن الظـُّلم حين يستشري ويعلو ويطمس الحقّ فهو إلى زوال مَثـَله مَثـَل الزَّبد(80) الذي يعلو على وجه الماء ويربو، إلاّ أنه يضمحل ويبقى الجوهر الصافي

---

(77) سورة الرعد، الآية 17.

(78) تفسير الشعراوي 12/ 7268.

(79) التفسير الكبير 19/ 35.

(80) تفسير الشعراوي 12/ 7270 – 7271.

من الماء وهذا حال الشّبهات والخيالات قد تقوى وتعظم إلا أنـّها تبطل وتزول ويبقى الحقّ ظاهراً(81).

والآية ضرْب من التمثيل للوصف والبيان والتفريق وتنبيه الناس على حكمته تعالى وما فيه من المواعظ والعبر وفي ذلك تبهيجٌ للمؤمنين وتحدٍّ للمشركين (82)، وهذا بيان ومثل للحقِّ في بقائه وثباته، وللباطل في ذهابه وتلاشيه وإن علا وطعنا في بعض الأحيان.

3. وقوله تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً)(83).

يُؤتى بالمَثـَل ليبيّن لك ويوضح الشيء الغامض الذي لا تفهمه ولا تعيه، وهنا يخاطب الباري عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فيقول: اضْرب يا محمد مثلاً للكفر إذا استغنى والفقير إذا رضي بالإيمان، فكان أحد الرجلين مؤمناً راضياً، والآخر مستغنياً وقد ورثا عن أبويهما مالاً كثيراً، فأخذ نصيبه واشترى به أرضا وقصراً وتزوّج فأصبح له ولدان وحاشية، وتصدّق الآخر بنصيبه واشترى أرضا في الجنة وهكذا استغنى الأول بما عنده واغترّ، إذن هاتان صورتان واقعيتان في المجتمع كافر يستغني ويستعلي، ومؤمن قنوع بما قسم الله له (84)، فجاء ضَرْب المَثـَل للوصف والبيان وهذه دروس وعِبرَ للناس من بعدهما.

ثانياً: الضّرب الحقيقي

---

(81) التفسير الكبير 19/ 36 – 37.

(82) التحرير والتنوير13/ 116- 117.

(83) سورة الكهف، الآية 32.

(84) تفسير الشعراوي 14/ 8901-8902.

جاء هذا المعنى في عشرة مواضع(85)، وقفنا على موضعين منهما وهما:

1. قوله تعالى" (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنا)(86).

هذه الآية من النِعَمِ التي امتنَّ الله بها على بني إسرائيل هو سبحانه وتعالى يُذكرهم بها على لسان موسى عليه السلام والحقّ يريد أن يُذكر بني إسرائيل حين تاهوا في الصحراء أنـّه أظلـّم بالغمام، وسقاهم حين طلبوا السّقيا، وموسى عليه السلام طلب السّقيا من الله تعالى بعد أن نفدت الأسباب وانتهت آخر نقطة من الماء عندهم (87)، والرّي من العطش نعمة كبرى، لذلك شاع التمثيل بريّ الضأن في حصول المطلوب، وكون العيون اثنتي عشرة ليستقل كلّ سبط بمشرب فلا يتدافعون(88)، و (الـ) التعريف في قوله (الحجر) لتعريف الجنس، أي: اضْرِب أيّ حجر شئت، أو للعهد مشيراً إلى حَجَرٍ عرفه موسى عليه السلام ويروى عن الحسن أن الله تعالى لم يأْمُرْه أن يضْرِب حجراً بعينه، وهذا أظهر في الحجّة وأبين في القـُدرة (89)، ومن المعروف أن الإنسان حين يستسقى الله يطلب منه أن ينزل عليه مطراً من السّماء، والحق سبحانه وتعالى كان قادراً على ذلك، ولكنه أراد المعجزة، فقال: سأمّدكم بماء ولكن من جنس ما منعكم الماء وهو الحجر الموجود تحت أرجلكم، وانفجار الماء من ضَرْبة العصا دليل على أنّ العصا أشارت فقط إلى

---

(85) هي: سورة النساء، الآية 34، سورة الأعراف، الآية 160، سورة الأنفال، الآية 50، سورة النور، الآية 31، سورة الشعراء، الآية 63، سورة الصافات، الآية 93، سورة ص الآية 44، وسورة محمد، الآية 4.

(86) سورة البقرة، الآية 60.

(87) تفسير الشعراوي 1/ 365-366.

(88) التحرير والتنوير 1/ 517-518.

(89) الكشاف / 79.

الصخرة أو ضَرَبت ضَرْباً خفيفاً، فتفجّر منها الماء، والحق سبحانه وتعالى أرادها نعمةً مركبّةً ليعلموا أنه يستطيع أن يأتي بالماء من الحجر الصّلب وأنّ نـَبْع الماء من متعلقات (كن)(90).

2. وقوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ)(91)

يُروى في قصة هذه الآية أن نفراً من القوم قتلوا ابن عمهم الوحيد وطرحوه في محلـّة قوم وجاؤوا موسى عليه السلام يطالبون بدم ابن عمهم بهتاناً (92) ويدلهم على القاتل، وجاء الأمر من الله سبحانه وتعالى ان اذبحوا بقرة ولو ذبحوا أية بقرة لانتهت المشكلة، ولكن ظلـّوا يقولون ما لونها وما شكلها حتى وصلوا إلى البقرة التي كان قد استودعها الرجل الصالح عند الله حتى يكبر ابنه فاشتروها وذبحوها، فأمرهم الله أن يضْربوه ببعضها، أي أن يضْربوا القتيل بجزء من البقرة المذبوحة بعد أن سال دمها وماتت(93)، والضمير في (اضربوه) إمّا أن يرجع إلى النـّفس والتذكير على تأويل الشخص وإمّا إلى القتل لما دلّ عليه من قوله (مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)، ويروى لمّا ضَرَبوه قام بإذن الله وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتاً فأُخِذا وقـُتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك(94)، وانظر إلى العظمة في القصة؛ جزء من ميت يُضْرَب به ميت فيحيا، فلو أن الله أحياه دون أن يُضرَب بجزء من

---

(90) تفسير الشعراوي 1/ 369-370.

(91) سورة البقرة، الآية 73.

(92) التحرير والتنوير 1/ 560- 561.

(93) تفسير الشعراوي 1/ 409.

(94) الكشاف 82.

البقرة لقالوا لم يكن قد مات(95)، فضَرْب المقتول ببعض البقرة أوكد في الحجّة وعن الحيلة أبعد، ولدفع الوهم من ان موسى عليه السلام أحياه بضَرْب من السحر(96).

ثالثاً: السّفر للتجارة وغيرها

جاء هذا المعنى في خمسة مواضع(97)، وقفنا على موضعين منهما وهما:

1. قوله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا في سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ)(98).

(الَّذِينَ أُحْصِرُوا) أي حبسوا وارصدوا، ويحتمل أن المراد بسبيل الله هنا الجهاد، فإن كان نزولها في قوم جرحوا في سبيل الله، فـ (في) للسببية و (الضرب) في الأرض: المشي للجهاد بقرينة (فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، وإن كانوا قوماً بصدد القتال يحتاجون إلى المعونة فـ (في) للظرفية المجازية، وإن كان المراد بهم أهل الصُّفة وهم فقراء المهاجرين الذين جاؤوا دار الهجرة لا يستطيعون زراعةً ولا تجارةً، فمعنى (الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) عيقوا عن أعمالهم لأجل سبيل الله وهو الهجرة فـ (في) للتعليل، وكان أهل الصُّفة يخرجون في كلّ سريّة يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه فسبيل الله هو الجهاد و (أحصروا) على هذا الوجه (أرصدوا) والظاهر من قوله (لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ) أنهم عاجزون عن التجارة لقلّة ذات اليد و (الضرب) في الأرض كناية عن التّجر، لأن شأن التاجر

---

(95) تفسير الشعراوي 1/ 409.

(96) التفسير الكبير 5/ 133- 134.

(97) سورة آل عمران، الآية 156، سورة المائدة، الآية 106، وسورة المزمل، الآية 20.

(98) سورة البقرة، الآية 273.

أن يسافر ليبتاع ويبيع فهو يضْرِب الأرض برجليه أو دابته (99)، والحقّ سبحانه وتعالى يريد أن يبيّن لنا أن الكفاح في الحياة يجب أن يكون في منتهى القوة، فالأرض مسخّرة للإنسان يسعى فيها ويضْرِب فيها ويأكل من رزق الله(100).

2. وقوله تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ)(101).

(ضَرْبتـُم)هنا بمعنى سافرتم (102) أو سرتم (103)، وفي الآية تشريع لبيان القصر في الصلاة في أثناء السفر، وليعلم المسافر أنّ القصر من الصّلاة هو نقص الرّكعات وقد بيّنه فعل النبي صلى الله عليه وسلم(104).

رابعاً: القـَتـْل

جاء هذا المعنى في ثلاثة مواضع(105)، وقفنا على موضع هو:

قوله تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ)(106).

ضرْبُ الرّقاب عبارة عن القتل، لأن الواجب أن تضرِب الرّقاب خاصّة دون غيرها، وهو كقولهم: ضَرَب الأمير رقبة فلان وضَرَب عنقه إذا قتله وذلك أن

---

(99) التحرير والتنوير 3/ 74.

(100) تفسير الشعراوي 2/ 1193.

(101) سورة النساء، الآية 101.

(102) الجامع لأحكام القرآن 5/ 351.

(103) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم / 240.

(104) التحرير والتنوير 5/ 182.

(105) الموضعان الآخران في سورة محمد، الآية 12.

(106) سورة محمد، الآية 4.

قتـْل الإنسان أكثر ما يكون بضَرْب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرَب غير رقبته، وفي العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتـْل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حزّ العنق وإطارة العضو الذي هو الرأس وهو أوجه أعضائه(107)، وانتصب (ضَرْبَ الرّقاب) على المفعولية المطلقة والتقدير: فاضْرِبوا الرّقاب ضَرْباً فلما حذف الفعل اختصاراً قدّم المفعول المطلق على المفعول به وناب مناب الفعل وأضيف إلى المفعول إضافة الأسماء إلى الأسماء، لأن المصدر راجع إلى الاسمية(108)، وفي الجملة اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدلّ على الفعل(109).

خامساً: الوَضْع والإلزام

جاء هذا المعنى في موضعين(110)، وقفنا على موضع هو:

قوله تعالى: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ)(111).

تقيد كلمة (ضُرِبت) ملحظاً بيانياً خاصاً في القرآن الكريم فهي لا تأتي في آياته إلاّ مقترنة بالمجتمع اليهودي وفي ذلك دلالة تؤكد على نحو جلي الخصائص الذاتية لهذا المجتمع، فهي خصائص ذاتية منحرفة فهم أصل الفساد في الأرض في ألوانه الشريرة(112)، فالعصيان والاعتداء وفعل المناهي والمجاوزة في المأذون،

---

(107) الكشاف / 1017.

(108) التحرير والتنوير 16/ 79.

(109) الكشاف / 1017.

(110) الموضع الآخر في سورة آل عمران، الآية 112.

(111) سورة البقرة، الآية 61,

(112) الاستعارة في القرآن الكريم، أحمد فتحي رمضان، رسالة ماجستير / 241.

أمور اعتادوا عليها(113)، فالآية ردّ على هؤلاء الذين كذبوا بآيات الله وقتلوا النبيين بغير حق وجعلهم محلّ الغضب والعقاب من حيث كانوا يكفرون (114)، وألزموا الذّلة والمسكنة شرعاً وقسراً فهم لا يزالون مستذلين مهانين (115)، وفي الآية استعارة مكنيّة إذ شبهت الذِّلة والمسكنة في الإحاطة بهم واللزوم، بالبيت أو القبة يضربها السّاكن ليلزمها (116)، وهذه الاستعارة أنسب تصوير لذَلهم ومهانتهم ما يوازي أفعالهم، إذ تعمّق معنى العذاب المادي والنّفسي الذي نزل بهم فهي تفيد الإحاطة والشّمول بالذّلة والمسكنة كما كان شرّهم لا يسلم منه أحد حتى أنبياء الله فالمقابلة الدقيقة بين أفعالهم والاستعارة (ضربت) موحية بالجزاء العادل(117).

وقد تكرر الفعل (ضُرِبت) مرتين زيادةً وتوكيداً للمعنى، وصورة الضَّرْب الاستعارة توحي للنّفس كثرة اقتراف القوم الذنوب والخطايا والعصيان التي بلغت حدّاً يقتلون فيه أنبياء الله تعالى(118).

سادساً: الجهاد

جاء هذا المعنى في موضع واحد وهو:

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً)(119).

---

(113) الكشاف / 80.

(114) التفسير الكبير 5/ 105.

(115) الجامع لأحكام القرآن 3/ 137.

(116) التحرير والتنوير 1/ 528.

(117) الاستعارة في القرآن الكريم / 280.

(118) الاستعارة في القرآن الكريم / 240.

يروى في قصّة هذه الآية أنّ رجلاً من أهل فدَك أسلم ولم يسلم غيره من قومه فغزتهم سريةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهرب قوم الرجل ولم يبق إلا هو لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد، فلـّما تلاحقوا وكبروا كبرّ ونزل فقتله أحد المسلمين واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشقّ عليه وقال قتلتموه إرادة ما معه ثم قرأ الآية، فطلب القاتل الاستغفار وألحّ في الطلب فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة (120)، فالآية إذن خطاب للمؤمنين استقصاء للتحذير من قتل المؤمن، وهي متصلة بما قبلها من ذكر القَتـْل والجهاد (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً......)، والضَرْب: السيّر في الأرض، تقول: العرب ضَرَبْتُ في الأرض إذا سرت لتجارة أو غزوٍ أو غيره(121)، وقوله (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ظرف وهو حال من ضمير (ضربتم) وليس متعلقاً بـ (ضربتم) لأن السيّر لا يكون على سبيل الله، إذ سبيل الله لقب للغزو ودلـّت الآية على حكمة عظيمة في حفظ الجامعة الدينية وهي بث الثقة والأمان بين أفراد الأمة وطرح ما من شأنه إدخال الشكّ(122).

سابعاً: النـّوم

جاء هذا المعنى في موضع واحد وهو:

قوله تعالى: (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً)(123).

---

(119) سورة النساء، الآية 94.

(120) الكشاف/ 254.

(121) الجامع لأحكام القرآن 5/ 336، وينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم/ 240.

(122) التحرير والتنوير 5/ 167- 168.

(123) سورة الكهف، الاية 11.

(الضّرْب) هنا بمعنى الوَضْع، يقال: ضرب عليه حِجاباً، قال تعالى: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّة)(124)، وحذف مفعول (ضربنا) لظهوره، كما يقال: بنى علي امرأته تقديره بنى بيتاً، والضَّرْب على الأذان معناه: النوم لأنّ النـّوم الثقيل يستلزم عدم السَّمْع لأن السمع السليم لا يحجبه إلاّ النـّوم بخلاف البصر الصحيح، فقد يحجب بتغميض الأجفان(125).

وذهب القرطبي إلى أنّ (ضربنا) هنا بمعنى: سَدَدنا آذانهم عن نفوذ الأصوات(126)، والمعاني متقاربة، الغاية منها النوم، أي: غطـّينا آذانهم بغطاء محكم يحجبهم عن العالم الخارجي، والضَرْب على الآذان: رحمة لهم، ففي النوم تهدأ الأعصاب ويستريح الإنسان حتى مع الآلام في أعنف الأمراض، لذلك اختار لهم ربّهم هذا الوضع طوال مدة مكثهم في الكهف، واختار الحق سبحانه الضَرْب على آذانهم، لأن حاسّة السمّع هي أول الحواس عملاً وهي أول آلة إدراك تـُؤدي مهمتها في الطـّفل، قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(127)، ولو تركهم الخالق سبحانه في نومهم على طبيعتهم لأزعجتهم هذه الأصوات وأقلقت راحتهم، لذلك عطـّل السّمع عندهم فناموا كل هذه المدة (128)، وقد أوحت الاستعارة في قوله: (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) بدلالة خاصة تتجسد في تعطيل حاسّة السّمع ولا ينهض بهذا المعنى إلاّ استعارة الضَرْب بما فيها من إيحاء خاص يتناسب مع مقصد الآية، معجزة أهل الكهف.

---

(124) سورة البقرة، الآية 61.

(125) التحرير والتنوير 15/ 268.

(126) الجامع لأحكام القرآن 10/ 363.

(127) سورة النحل، الآية 78.

(128) تفسير الشعراوي 14/ 8850.

ثامناً: الجَعْل

جاء هذا المعنى في موضع واحد وهو:

قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً)(129).

قوله (اسْرِ) من الإسراء ليلاً والعبادُ هم الصّفوة التي اختارت مراد الله على مرادها، و (الضَرْب) هنا بمعنى (الجَعْل) كقولهم: ضَرَب الذّهبَ دنانير (130)، وفي الحديث (واضربوا لي معكم بسهم) (131)، وعندما ضَرَب موسى عليه السلام البحر بعصاه، انفلق البحر وانحسر الماء طريق جاف صالح للمشي بالاقدام، وهذه مسألة لا يتصورها قانون البشر لذلك يطمئنه ربّه بأن لا يخاف من فرعون ولا يخشى غرقاً من البحر، لأن الطريق مضروب، أي: معبّد وممهّد(132).

تاسعاً: السِّتْر

جاء هذا المعنى في موضع واحد وهو:

قوله تعالى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنّ)(133).

---

(129) سورة طه، الاية 77.

(130) التحرير والتنوير 16/ 270.

(131) الجامع الصحيح المسند 7/ 107، كتاب الطبّ، باب الرُّقي بفاتحة الكتاب.

(132) تفسير الشعراوي 15/ 9338.

(133) سورة النور، الآية 31.

الخُمُرُ: جمع خمار وهو غطاء الرأس، والجيوب: جمع جيب وهو الفتحة العليا للثوب والمراد أن يستر الخمار فتحة الثوب ومنطقة الصدر، فلا يظهر منها شيء(134)، وكانت الجيوب واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكنّ يسدلْن الخـُمُر من ورائهن فتبقى مكشوفة فـأُمِرْنَ أن يَسْدُلـْنـَها من قدّامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد بالجيوب (الصدر) تسمية بما يليها ويلابسها، وضَرْب الخمار على الجيب هو كقولهم: ضَرَب يده على الحائط اذا وضعها عليه (135)، لنتأمل دقـّة التعبير القرآني في قوله (وَلْيَضْرِبْنَ)، فليس المراد أن تضع المرأة الغطاء على رأسها وتتركه هكذا للهواء، وإنما عليها أن تحكمه على رأسها وصدرها وتربط بإحكام(136).

عاشراً: القَطـْعُ والصَّرْفُ

جاء هذا المعنى في موضع واحد وهو:

قوله تعالى: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ)(137).

الذ ِّكـْر هنا القرآن، و (الضَّرْب) مستعار لمعنى القَطـْعِ والصّرْف أخذاً من قولهم: ضرَبَ الغرائبَ عن الحوض، أي طردها وصرفها (138)، والمعنى: أفـَنـَتـْرُكـُكـُمْ سُدى فلا نأمركم ولا ننهاكم، وقيل أفـَنـُمسك عن إنزال القرآن من قبل انـّكم لا تؤمنون به فلا نـُنـَزِّله عليكم (139)، والفاء في (أفنضرب) لتقريع الاستفهام

---

(134) تفسير الشعراوي 16/ 10256.

(135) الكشاف / 727.

(136) تفسير الشعراوي 16/ 10256.

(137) سورة الزخرف، الآية 5.

(138) التحرير والتنوير 25/ 163.

(139) الجامع لأحكام القرآن 16/ 62.

الإنكاري، أي: أتحسبون أنَّ إعراضكم عمّا نزل من هذا القرآن يبعث أن نقطع عنكم تجدّد التذكير بإنزال شيء آخر من القرآن فلما أُريدت إعادة تذكيرهم، كانت الإعادة لهم موسومة في نظرهم بقلّة الجدوى، فبيّن لهم أنّ استمرار إعراضهم لا يكون سبباً في قطـْع الإرشاد عنهم، والاستفهام إنكاري، أي لا يجوز أن تضر Qبَ عنكم الذ ّكر صفحاً من جرّاء إسرافكم(140).

حادي عشر: نـَصْبُ الجدار وإقامته

جاء هذا المعنى في موضع واحد وهو:

قوله تعالى: (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ)(141).

يظهر من إسناد الفعل (قيل) بصيغة المجهول أنَّ قائله غير المؤمنين وإنما هو من كلام الملائكة السائقين للمنافقين وتكون مقالة الملائكة للمنافقين تهكماً إذ لا نور وراءهم وإنما أرادوا إطماعهم ثم تخييبهم بضَرْب السور بينهم لأن الخيبة بعد الطمع أشدّ حسرة وهذا استهزاء كان جزاء على استهزائهم بالمؤمنين(142)، وضرب السّور هنا إقامة حائط بين شقِّ الجنـّة وشقّ النار قيل هو الأعراف(143)، هو كقولهم: ضَرَب خيمة أي نصبها، وتضمن الفعل (ضرب) في الآية معنى الحَجْز فعدّي بالباء أي: ضُر Qب بينهم سور للحَجْز خلقه الله ساعتئذٍ قطعاً لأطماعهم وتركهم في

---

(140) التحرير والتنوير 25/ 163.

(141) سورة الحديد، الآية 13.

(142) التحرير والتنوير 27/ 382-383.

(143) الكشاف / 1083.

ظلمات لا يبصرون، ولعل ضَرْب السور بينهم وجعْلَ العذاب بظاهره والنعيم بباطنه قَصَدَ منه التّمثيل لهم بأن الفاصل بين النّعيم والعذاب هو الأعمال في الدنيا، فمنها ما يفضي بعامله إلى النعيم ومنها ما يفضي بصاحبه إلى العذاب(144).

ويعد هذا الدّرس لمعاني (ض.ر.ب) تبيّن أنّ القرآن الكريم هو الباعث في نشأة علوم اللّغة، وذلك لما في القرآن الكريم من وجوه الجمال قادت اللفظة إلى صور ومعانٍ إسلامية، كان للمجاز نصيب كبير، فمثلاً الاستعارة المكنيّة تمتاز بوظيفة التصوير الشخصي وذلك بإضفاء السّمات الإنسانية على الجمادات فتحيلها إلى عوالم وكائنات، ويُمَثّل ضَرْب المَثَل عمق العِبْرة والموعظة في سياق العذاب المادّي أو المعنوي، ولابد من الإشارة إلى أنّ كتب الوجوه والنّظائر ذكرت عدداً من المعاني المعجمية والقرآنية ولكنها لا ترقى إلى ما ذكره اللغويون والمفسرون وكان أوسعهم الفيروزآبادي إذ ذكر ستة وعشرين معنىً.

---

(144) التحرير والتنوير 27/ 383.

Abstract

The Base Tharaba and its Semantic Uses in the Holy Quran

Dr. Abdala Hassan Ahmad(*)

The research is a serious attempt in Arab discourse aims at investigating the Holy Quran to study a large linguistic material where real and figurative meanings appear in the uses of the Arabs. A contextual and linguistic structure that specifies the pronunciation also appear in it. The origin in all uses and structures are studied in this paper.

The reasearch has come up with impotant conclusions. The most important conclusion is that the Holy Quran has the ability of expressing a word to convey Islamic images and meanings. Simiarly it states stating a proverb is an effective way in giving lessons and morals.

(*) Dept. of Arabic - College of Arts / University of Mosul.